تفاعلات الحياة تهيئة الكون للانسان

د.ناصر بلبوخاري

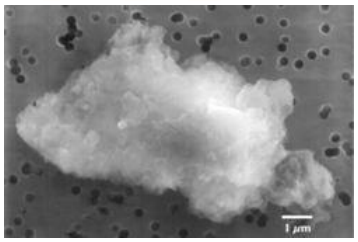

لقد كان الكون في البداية نواة صغيرة، وتحول عبْر مليارات السنوات إلى أشكال مختلفة عبر مراحل عديدة؛ في المليار الأول انفصلت المادة عن الطاقة، وتحول الكون إلى حالة شفافة. وبعد مليارين من السنوات تم ترتيب نوى الذرات الثقيلة وخلقت أوائل المجرات. استمرت المرحلة الثالثة حتى بلوغ الكون عمر 3 مليارات سنة. في هذه المرحلة ظهرت المجرات التي تمت مشاهدتها بتلسكوب "هوبل" الفضائي ضمن حسابات "الساحة العميقة Deep Field". وفي المرحلة الرابعة للكون ظهرت المجرات التي تملك مواد ذات نوًى ثقيلة، وتشبه المجراتِ الحالية. وفي المرحلة الخامسة للكون تشكلت مجموعتنا الشمسية مع جميع توابعها الدائرة في أفلاكها، وفيها أيضاً أخذ توْبنا الأرضي مكانه وموقعه وحجمه ضمن أفضل الشروط الملائمة لظهور الحياة فيه. أما في المرحلة السادسة والأخيرة فقد ظهرت الحياة. وعندما أصبح كل شيء ملائماً ظهر الإنسان.

لقد خُلق الكون وما فيه مرحلةً مرحلة، وكما هو واقع في جميع الأمور الفنية الدقيقة كان هناك سير منظم وتحول من البساطة إلى الكمال. وفي كل مرحلة كانت يد القدرة متجلية وواضحة. أجل! لم يُخلق الكون دفعة واحدة، بل على مراحل، وكان الإنسان هو الثمرة النهائية لهذه المراحل. والإنسان نفسه مرّ بمراحل ست، فقد تحول في رحم أمه من نطفة إلى علقة ثم إلى مضغة، ثم خلقت عظامه ثم كُسيت لحماً ثم تم إنشاؤه خلقاً آخر... فتبارك الله أحسن الخالقين..

إستشهادات من القرآن الكريم لتحديد عمر الكون:

يقول سبحانه " : و لقد خلقنا السماوات و الأرض في ستة أيام و ما مسنا من لغوب " سورة ق 38 .

و قوله تعالى " : و هو الذي خلق السماوات و الأرض في ستة أيام " هود 7.

و الله الذي خلق السماوات و الأرض و ما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي و لا شفيع أفلا تتذكرون يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون " السجدة 4 ـ 5 .

و هنا نلاحظ أن اليوم في سورة السجدة آية (4) يمثل مرحلة من مراحل الخلق أما اليوم في الآية (5) فهو من آياما التي نعدها بطلوع الشمس كل يوم و المقاربة في هذا المجال تتحدث عن هذه الأيام أو المراحل الستة و كيف يمكن تقسيمها توبياً ؟ .

يقدر العلم عمر الكون بين 10 ـ 20 مليار سنة.

الإشارة القرآنية:

قال تعالى " : قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق " فصلت 9ـ 12

طبقاً لهذه الآيات فإن الأيام الستة للخلق قسمت كما أجمع المفسرون إلى ثلاثة أقسام متساوية كل قسم يعادل يومين من أيام الخلق بالمفهوم النسبي للزمن .

أولاً : يومان لخلق الأرض من السماء الدخانية الأولى (خلق الارض في يومين)

و يقول تعالى (أولم يرى الذين كفروا أن السماوات و الأرض كانتا رتقاً ففتقناهما) الأنبياء 30.

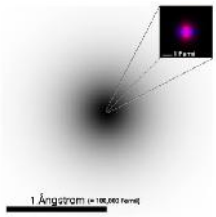

ثانياً : يومان لتسوية السماوات السبع :

"ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقضاهن سبع سماوات في يومين "

و هذا يشير إلى الحالة الدخانية للسماء بعد الانفجار الكوني العظيم بيومين حيث بدأ تشكل السماوات فقضاهن سبع سماوات في يومين

اللحظة الأولى التي تجلى فيها الأمر الإلهي ﴿كُنْ﴾ تقابل مرحلة (1/100 من الثانية). الحرارة فيها مرتفعة جدًا وتبلغ 100 مليار درجة مئوية. الكون في هذه المرحلة الأولى يشبه حساءً من الطاقة الإشعاعية، ومع أن الجزيئات دون الذرية مثل البروتونات والنيوترونات التي تؤلف نواة الذرة لم تتشكل بعد، إلا أن فترة الخلق بدأت تأخذ مسارها. لا توجد هناك سوى الألكترونات وضدها البوزوترونات، والزمن يبلغ جزءً من مائة جزء من الثانية. وعملية الخلق تجري بسرعة كبيرة إلى درجة أن الطاقة والمادة والكثافة بدأت تأخذ أبعادها الفيزيائية (المادية)، أي المادة بدأت تتشكل بدرجةٍ ما، وبدأت تكتسب أبعادها.

الأيام الستة الأولى: من العدم إلى الوجود :والكثافة أيضاً (مثلها في ذلك مثل الحرارة) مرتفعة جدا في هذه اللحظات الأولى للخلق. وحسب الحسابات التي استخرجها المختصون من المعادلات فإن كتلة لتر واحد من المادة آنذاك كانت تساوي 3,8 مليار كغم (3,8 مليون طن). وهكذا نرى كيف أن نواة الكون الصغيرة التي ظهرت في جزء من مائة جزء من الثانية تظهر من ظلام العدم إلى نور الوجود، وكيف أنها بدأت تتوسع بيد القدرة اللانهائية بسرعة كبيرة حتى بلغت في ذلك الجزء الصغير جداً من الزمن إلى سعة بلغت 4 سنوات ضوئية. فسبحان الذي خلق فسوى ثم قدر فهدى.